

تعقيب على : السريانية في معلولا وصيدنايا

سعيد الديوه جي

الموصل / العراق

أعداءه بألف جمل ، ولكن النصر كان حليف شلمانصر ،
فانهزم جندب ملك العرب مع حلفائه .

وفي زمن تغلت فلاسر الثالث 745 - 727 ق.م
زحف إلى بلاد الشام ، ومن قاومه «زيبى ملكة دومة
الجندل» .

وفي سنة 732 ق.م دفعت ملكة العرب شمسي
لتغلات فلاسر جزية مع عدة قبائل عربية ، وكانت
الجزية : ابلاً وطوبياً وذهباً وفضة ونخضعت له ، كما جاء
في نفس المصدر أسماء القبائل العربية التي كانت تحكمها
هذه الملكة ، وأسماء رجال الوفد الذين تفاوضوا في
الصلح ، وأدوا الجزية إلى ملك آشور ، وكلها أسماء
عربية ، وموطنهم غربي بلاد آشور ، شمال بلاد الشام .

وفي هذا الكتاب أسماء مدن عديدة شيدها العرب ،
وأسماء القبائل التي كانت في بلاد الشام ، والدول التي
أقاموها .

وهل «الانباط» الذين أقاموا دولة كبيرة في طور سينا
كانوا من السريان؟ أو من القبائل العربية التي نزحت من
الجزيرة وأقامت مدينة بطرا وسيطرت على الطريق التجاري
الذي يصل بين الجزيرة العربية وبلاد مصر .

وأين كانت دولة تدمر وما لها من حضارة ، أليست
القبائل العربية أقامتها ، وكان لها شأن في الحضارة
والعمران والتجارة والقوة .

نشر السيد عيسى فتوح - دمشق - بحثاً في العدد :
20 من مجلة اللسان العربي ، عن «السريانية في معلولا
وصيدنايا» وفيها طرائف وغرائب ، ومما جاء في مقدمتها :

«كانت اللغة السريانية لغة سكان سوريا قبل الفتح
الإسلامي الذي أدخل معه اللغة العربية ونشرها ،
فتراجعت اللغة السريانية وانكشبت ، وهجرت شيئاً فشيئاً
في المدن ثم في القرى ، إلى أن انقرضت كلياً الخ ...» .

ما ذكره الكاتب قول غريب فيه تشويه للحقائق ، أو
عدم اطلاع على تاريخ العرب في سوريا ، وما كان لهم
من دول ومدن وآثار لم تزل تنطق بماضيهم المجيد في هذا
القطر .

فالعرب سكنوا الهلال الخصيب - بلاد الشام وبلاد
ما بين النهرين دجلة والفرات - منذ أقدم العصور .
فالهلال الخصيب متمم لجزيرة العرب ، وكلما ضاقت
الجزيرة بالسكان ، أو ضاقت بهم أسباب العيش نزحوا
إليه ، واستوطنوه ، وأقاموا لهم دولاً ، كان لها شأن قبل
الميلاد بعصور ، ثم تعدوا الهلال الخصيب وسكنوا جنوب
بلاد الأنضول ، وعرفت هذه البلاد بأسماء قبائلهم فيها
وفي الهلال الخصيب : ديار بكر ، ديار مضر ، ديار
ربيعة ، ديار تغلب الخ ...

وكان للعرب في هذه الديار وقائع مع الآشوريين قبل
الميلاد بقرون ، ومن ذلك : ما كان لهم مع شلمانصر
الثالث - ملك آشور - في سنة 853 ق.م شن حملة على
بلاد الشام ، وان «جندب ملك العرب» في الشام أمد

اللغة العربية لم تكن معلومة في بلاد الشام ، وانها دخلت بلاد الشام مع الفتح الاسلامي .

هذا ما لا يقوله من له الملم في التاريخ ، فالمصادر الكثيرة - المطبوعة والمخطوطة - أمام كل باحث يريد أن يقف على حقائق الأمور ، لا أن يأتي بأفكار غريبة ، وجدها في مجلة ما ، أو أبدى بها مستشرق معادٍ للعرب والإسلام .

فلمات بعض الأقليات كانت منتشرة عند بعضهم في الشام والعراق ، وغيرها من البلاد ، ولكن بعد الفتح الاسلامي ، لم تصمد أمام قوة اللغة العربية وجهاً وسهولتها ، فتركوا لغاتهم وأقبلوا ينهلون من هذا المورد العذب ، ومع هذا لم يزل بعضهم يحتفظ في لغته في صلواتهم بالكنايس .

والذي أرجوه من الأستاذ الباحث ، إذا ما كتب بحثاً أن يرجع إلى المصادر الموثوقة ، لتكون كتاباته علمية ، يرجع إليها ، ويؤخذ عنها ، لا ان يعتمد على ما يتقوله بعض الناس .

ومصادره التي ذكرها في نهاية البحث محدودة ، ولم يشر في الحاشية إلى المصدر الذي نقل عنه هذه الأخبار الطريفة .

والمصادر التي تبحث عن العرب في بلاد سوريا كثيرة جداً ، ويمكن الرجوع إلى بعضها مثل :

تاريخ العرب قبل الاسلام : للدكتور جواد علي ، فسيجد فيه أخباراً كثيرة مفصلة عن العرب في الهلال الخصيب - ومنها بلاد الشام - وعن دولهم وحروبهم وحضارتهم ، وهو من أوسع المصادر في هذا الباب .

العرب في سوريا قبل الاسلام : رينه ديسو - نقله إلى العربية عبد الحميد الدواخلي .

العرب في الشام قبل الاسلام - محمد أحمد باشملي .

تاريخ العرب قبل الاسلام - جرجي زيدان - وغير هذه من الكتب الكثيرة .

وأين كان الغساسنة ؟ أليس في بلاد الشام ؟ وما كان لهم من حضارة وعمران ، وأدب رفيع ، وعلوم ومعارف ، لم تزل آثارهم باقية إلى اليوم والقصاصد التي قبلت فيهم ، واسماء الشعراء الذين نوهوا بمكانتهم في بلاد الشام ، ومنتزلتهم في هذه الديار ، فهل كانوا يتكلمون اللغة السريانية ؟

وعليه فاللغة السريانية لم تتراجع بعد الفتح الاسلامي - كما يقول - وانكشفت وهجرت شيئاً فشيئاً في المدن ثم في القرى . وانما اللغة العربية هي لغة أهل البلاد منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا .

نحن لا ننكر أنه كان بعض السريان يعيشون مع العرب في ظلال حكمهم ، وكان لهم لغة وعلم وأدب ، ولكنها لم تكن لغتهم لغة أهل سوريا كافة ، بل لغة شعب يعيش مع اخوانه العرب الذين سيطروا على الهلال الخصيب وامتدوا إلى بلاد الأنضول .

والمصادر غير العربية كانت تسمي هذه البلاد «بلاد عربستان» باسم سكانها .

وما كان في بلاد الشام كان في بلاد ما بين النهرين - دجلة والفرات فالعرب سكنوا هذه الديار مع اخوانهم الاشوريين : شيدوا المدن وأقاموا حضارة عربية ، فكانت البلاد من مواطن العرب ، ومعهم بعض السريان .

وكانت لهم وقائع كثيرة - قبل الميلاد وبعده - مع الرومان والفرس ، وایامهم مشهورة ، وأخبارهم مذكورة لمن يقرأ عنهم المصادر العديدة - الشرقية والغربية ، وحتى في العهد القديم - أفبعد هذا كله يقول الكاتب أن اللغة السريانية كانت لغة أهل الشام قبل الفتح الاسلامي ؟

كلنا نعلم أن الفتح الاسلامي - لبلاد الشام وغيرها من البلاد - كان فتح دين ولغة وعلم وحرية وفكر ومساواة بين الناس ، وان القبائل العربية زاد انتشارها في البلاد المفتوحة ، ونشروا الدين الإسلامي ، واللغة العربية التي طغت على اللغات المحلية التي كان يتكلم بها بعض الاقليات - ومنها في بلاد الشام - ولكن هذا لا يعني أن